

## تربيـة الأـبـنـاء فـي الـزـمـنـ الـحـدـيـثـ



"هـنـاكـ اـكـتـشـافـانـ إـنـسـانـيـانـ يـحـقـ لـنـاـ اـعـتـبـارـهـماـ أـصـعـ الـاـكـتـشـافـاتـ،ـ هـمـاـ:ـ فـنـ حـكـمـ النـاسـ،ـ وـفـنـ تـرـبـيـتـهـمـ".ـ

(الفيلسوف الألماني - إيمانويل كانت)

لن تتحرك السيارة من مكانها إلا وجهتها إلا بعد ملء الخزان، ولن تشرب شيئاً يروي عطشك إلا بعد ملء الكوب بالماء، فلا السيارة تنفع من غير الوقود ولا ذلك الكوب سيطفئ لهيب عطشك إلا بعد ملئه، هذه مسلمات نعيشها يومياً في حياتنا لا يختلف عليها اثنان، اخترت منها كأمثلة شينين وهنالك الكثير.

فالعقل هو ذلك المركب والكوب الذي بحاجة لمثله بالمعلومات والأفكار لكي يَحْيَا ويكون صالحًا للاستخدام، أقولها وللأسف إنّ 80% من مشاكلنا في تربية من حولنا تكمن في عدم امتلاكنا الوسيلة المناسبة والمتحية التي تربى بها الأبناء، فأغلب مشاكل وأزمات البيوت سببها شُجُّ في شريحة المربين الذين يجب أن يتمتعوا بالوعي والثقافة وأذنّهم باختصار نماذج لمن حولهم.

ونلاحظ أنّ انتشار تربية الإلزام والقهر الذي وصفها الدكتور مصطفى حجازي بـ"فقدان سيطرة الإنسان على مصيره" هو دليل واضح على أنّ التربية الخطيرة الخاطئة ليس دليلاً على وجود فكر قائم لها كتبه المختصون في التربية، فعدم وجود المعلومة والفكر الصحيح في عقل المربين سينتج عنه لا محالة تربية فرعونية قائمة على فكرة "لا أريك إلا ما أرى"، والشيء بالشيء يذكر: كثيراً ما أُسأل من طلباتي عن نصيحتي لهم في التخصص الجامعي.. وهذا السؤال يجعلني أغضب منهم وليس بسبب طلبهم مني للتوجيههم، فهذا مطلب مهم ولكن غالبيتهم يأتوني ولم يكُنوا لهم رأياً خاماً عن التخصص المحبب لهم، وبدوري هنا دائمًا أبدأ نصيحتي لهم بأن يبحثوا هم في البداية عن ما يريدون ومن ثمّ يأتوني، لأنني أريد بذلك تربيتهم على تحمل مسؤولية حيائهم والم مضي قدماً في سبيل تكوين وجهة نظر ورأي خاص بهم حتى لا يكونوا مستقبلاً إمّعة يُقادون ولا يَقودون.

الآن، لو طلبت منك أيها المربي أن تخيل نفسك في اختبار مصيري، وعدم إجاـتك على هذه الأسئلة إجـابة صحيحة سينتج عنها خسارتك لحياة ابنـكـ،ـ الآـنـ وـفـيـ هـذـهـ اللـحـظـةـ!!ـ أـمـاـكـ الـوـرـقـةـ وـفـيـهـاـ 5ـ أـسـئـلـةـ...ـ

-1 أثناء جلوسك في صالة المنزل قام ابنك بشتم أخيه الأصغر أمامك.. ماذا ستفعل؟

.....  
.....

-2 هاتـــفك مدير المدرسة قائلـــ لك: ابنك يومياً يقوم بسرقة حاجات أصدقائه.. ماذا ست فعل؟

.....  
.....

-3 إبنـــتك لا ترغب بالدراسة.. ماذا ستـــفعل؟

.....  
.....

-4 وأنت خارج من المنزل رأيت ابنـــك يدخـــن الســـيـــجـــارـــة.. ماذا ستـــفعل؟

.....  
.....

-5 ابنـــك يقوم بالصرـــاخ الشـــدـــيد على أـــمـــه.. ماذا ستـــفعل؟

.....  
.....

هذه أسئلة.. لكنها في الواقع حوادث تحصل بشكل يومي لنا، وعدم مقدرتنا على علاجها بالشكل الصحيح يعني أننا نقتل بـــايدـــنا عقول ومشاعر من حولـــنا بطريقتنا الخاطئة في العلاجة والتعامل، فكل موقف لا نتعامل معه بشكل صحيح هو في الحقيقة تشوـــيه لشخصية أـــبـــنـــائـــنـــا المستقبـــلـــية، فـــشـــخصـــيـــاـــتـــهـــمـــ فيـــالـــمـــســـتـــقـــبـــلـــ هيـــنـــتـــاجـــلـــطـــرـــيـــقـــةـــ تـــعـــاـــلـــلـــنـــاـــ مـــعـــمـــشـــاـــكـــلـــهـــمـــ فـــهـــنـــاـــ تـــكـــمـــنـــ خـــطـــوـــرـــةـــعـــدـــمـــالـــتـــعـــلـــمـــأـــنـــ مـــاســـتـــقـــبـــلـــ يـــعـــتـــمـــدـــكـــلـــيـــاـــ عـــلـــىـــمـــاـــنـــزـــرـــعـــهـــ فـــلـــاـــتـــتـــوـــقـــعـــأـــنـــتـــحـــمـــدـــتـــفـــاحـــةـــحـــرـــاءـــحـــلـــوـــةـــالـــطـــعـــمـــ جـــمـــيـــلـــةـــالـــمـــذـــاـــقـــ وـــأـــنـــتـــلـــمـــتـــحـــســـنـــتـــهـــيـــئـــةـــالـــتـــرـــيـــةـــ وـــلـــمـــتـــســـقـــهـــاـــبـــشـــكـــدـــوـــرـــيـــبـــالـــمـــاءـــ،ـــفـــهـــذـــاـــمـــاـــجـــنـــتـــهـــيـــدـــاـــكـــبـــحـــســـ فـــعـــلـــيـــكـــ..ـــوـــكـــلـــإـــنـــاءـــ(ـــعـــقـــلـــكـــ)ـــبـــمـــاـــفـــيـــهـــيـــنـــضـــجـــ(ـــتـــرـــبـــيـــةـــ)ـــ!

وحتـــىـــلـــاـــتـــقـــعـــفـــيـــهـــذـــهـــالـــمـــشـــاـــكـــ،ـــيـــجـــبـــعـــلـــيـــكـــأـــنـــتـــتـــعـــلـــمـــطـــرـــقـــالـــتـــرـــيـــةـــالـــحـــدـــيـــثـــةـــوـــأـــســـالـــيـــبـــهـــاـــ،ـــاـــقـــرـــأـــفـــيـــخـــصـــائـــصـــ مرـــحـــلـــةـــالـــطـــفـــوـــلـــةـــوـــالـــمـــرـــاـــهـــقـــةـــوـــاـــحـــتـــيـــاـــجـــاتـــهـــاـــ،ـــتـــثـــقـــفـــفـــيـــكـــيـــفـــيـــةـــغـــرـــســـالـــأـــخـــلـــقـــ،ـــفـــيـــمـــحـــولـــكـــ،ـــاـــقـــرـــأـــالـــقـــصـــمـــالتـــارـــيـــخـــيـــةـــالـــتـــيـــتـــحـــمـــلـــفـــيـــطـــيـــاـــتـــهـــاـــ،ـــأـــرـــوـــهـــاـــلـــأـــبـــنـــائـــكـــ،ـــاـــبـــحـــثـــعـــنـــأـــكـــثـــرـــالـــمـــشـــاـــكـــالـــســـلـــوكـــيـــةـــالـــتـــيـــيـــقـــعـــفـــيـــهـــاـــالـــأـــطـــفـــالـــوـــالـــمـــرـــاـــهـــقـــونـــوـــاحـــصـــلـــعـــلـــ طـــرـــقـــالـــتـــعـــاـــلـــمـــعـــهـــاـــمـــعـــالـــمـــخـــتـــصـــيـــنـــ،ـــاـــعـــرـــفـــكـــيـــفـــتـــكـــســـقـــلـــوـــبـــأـــبـــنـــائـــكـــبـــطـــرـــيـــقـــةـــمـــحـــيـــةـــلـــأـــنـــ

كسب القلوب مرحلة تسبق علاج مشاكلهم، فلن تستطيع أبداً احتواء سلوكيات من حولك إلا بعد أن تكس قلوبهم، لأنك حينها تستطيع وبجدارة أن تفوز بثقتهم الغالية بحبك وفهمك لهم.

هذه أمور وغيرها تستحق منك البحث والتمعق فيها، فعندما تستشعر أنك تتعامل مع عقل يفكر وقلب يملك المشاعر والأحساس تكتشف أنَّ الأمر يستحق العناء للتعلم، فأنت لا تتعامل مع جماد بل مع إنسان سيكون له دور عظيم في المستقبل لخدمة دينه ومجتمعه إنْ أحسنت تربيته، وعلى النقيض تماماً، سيكون عالٌ على بيته و مجتمعه ودينه إنْ أنت قصَّرت معه، والجميل المريح أنَّ الأمر بيده أيها المربى فأنت:

إِمَّا أَنْ تَكُونَ وَرِثَةً نَبِيٍّ، أَوْ مُجْرِمٌ تَارِيخِ.

\* التربية التقليدية تَفَوَّتْ الشخصية؛ فال قالب المتقن تنتج عنه قطعة متقدنة، لكنها تكون مفتقرة إلى المرونة والإبداع خارج تفاصيل القالب.

يقول عبد الرحمن الكواكب: "خلق الله في الإنسان استعداداً للصلاح واستعداداً للفساد، فأبواه يُصلحانه وأبواه يُفسدanh، أي أنَّ التربية تربو باستعداده جسماً ونفساً وعقلاً، إنْ خيراً فخير وإن شراً فشر. وقد سبق أنَّ الإستبداد المسؤول يؤثر على الأجسام فيورثها السقام، ويسطو على النفوس فيفسد الأخلاق، ويضغط على العقول فيمنع نماءها بالعلم. بناءً عليه، تكون التربية والاستبداد عاملين متعاكسيين في النتائج، فكلُّ ما تبنيه التربية مع ضعفها يهدمه الاستبداد بقوته، وهل يتم بناءً وراءه هادم؟".

عندما تمارس التربية والتي هي وظيفة ورسالة الأنبياء والرسل من دون أن يكون لديك علم فأنت أقرب للهدم والتدمير منه إلى البناء، وإن كانت بحسن نية منك، كما وأشار الكواكب في آخر الفقرة السابقة أنَّ البناء لا يتم إذا كان وراءه هادم ولن يكون هذا الهادم إلا إنساناً لم يتعلم!

فحسن النية لا تدفع لك عند الله إذا كنت خالي العقل شحيخ العلم وسماعك لضجيج إحدى عربات القطارات دليلٌ على فراغه.. لأنك لن تستطيع احتواء أبنائك من دون أن يكون لديك الوصفة السحرية لذلك، خصوصاً إذا ما وضعنا بعين الاعتبار الاختلافات الكبيرة بين البشر فليس ما تهتم به يجب أن يهتم به من حولك، لذلك سيكون التعلم هي تلك الوصفة التي تغزو بها عقول من حولك.

من لم يَرَ العلم أَغْلَى \*\* من كلِّ شيءٍ يُصَابُ

فليس يُفْلِحُ حتى \*\* يُحْشِى عليه الترابُ

المصدر: كتاب المُرَبِّي (12 قاعدة مبسطة ومبتكرة) للكاتب عبدالمحسن العصفور